سويسرة افريقية او بلاد منليك

بقلم جناب عبدالله افندي نخايل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة (تابع لما سبق)

٥ القسم الاوسط او البلاد المعتدلة

القسم الاوسط من الحبشة يعمّ منطقةً من البلاد يتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ١٨٠٠ و ٢٥٠٠ متر وهي الاقاليم الآهلة بثلثي سكّان الحبشة فان مناخها وهواءها وطبيعتها من اصلح واطيب واجمل بلاد الله . ومتوسط درجة الحرارة في هذه الاصقاع تختلف بين ١٥+ و ٢٥+ في النهار . وينذر هبوطها في الليل الى ٦+ وذلك في المحلات القريبة من اوائل القسم الاعلى . امّا تراكم البيوت والناس في مدن وقرى هذا القسم فحدّث عنهُ ولا حرج لانّ الاسواق والتجارة وكل بيع وشراء في الحبشة لا اثر لهُ تقريباً في سوى هذه البلاد

هي منطقة من اجمل المناطق وصقع من اجمل الاصقاع فانّ مشاهد الطبيعة فيها بديعة والمياه غزيرة والمناخ صالح والتربة غنية والنبات كثير الانواع . وممّا يقضي بالعجب فيها هو ان تربتها وحرارتها توافقان لنماء نبات البلاد الباردة على السواء لانّنا نرى فيها الزهور والبقول والقمح والشعير والذرة واشجار الفواكه وغير ذلك من نبات البلاد الباردة تنجح زراعتها في جوار مزارع القطن والموز والبن وقصب السكّر والكاوتشوك المختصّة بالبلاد الحارّة

ولمّا دخل العلماء والرحّالون والمرسلون الى اوسط هذه البلاد رأى بعضهم جمالها ودرس بعضهم غناها وما تخفيهِ في بطنها من كنوز المعادن . رأوا غابات خرائد تقطنها الوحوش والطرائد ومراعيَ خصبة من العشب الطويل تهمر قطعان البقر ويقفز فيها الفرس الجموح ويمرح في وسطها الحمَل حول امهِ ويلمع في مسارحها شعر الماعز الشرقي المنقوش بالاسود والابيض . شاهدوا الجبال الوعرة والاودية العميقة وصخورها المكلّلة بالاعشاب والازهار وسواقي المياه تترقرق فيها على الحصى والرمل في ظلّ الاشجار بين الورد البرّي والياسمين الابيض والزنابق فكان المشهد كمشاهد الطبيعة في اوربّة . رأوا الالوف من الطيور المجنّسة والبديعة الالوان ترفرف باجنحتها على الاشجار والصخور وتطرب الاسماع

بتفاريدها الشجية . نظروا السهول الفسيحة التي لو أُعتني بزراعتها لتدفق منها الخير فوق ما يأملهُ الزرّاع والانهار العديدة تجري في تلك البطاح ثم تغيب عن البصر فيُسمع خريرها تحت سراديب من الادغال الكثيفة الى ان تصل الى الوادي فتتحدر فيه

نظروا في اراضي هذا القسم اشجاراً كباراً من نوع الجميز او التين البرّي (syco-more) يستطيع ان يستظلّ بفيئ الواحدة منها الوف من البشر. هذه هي الشجرة التي يتألّف تحتها الجموع من شعب الكالّا الوثنيين عند ما يقدمون الذبائح لآلهتهم . وفي هذه الربوع ايضاً ينبت شجر البيريسا (pinus abyssinica) وهو نوع من الصنوبر وشجر الكاتير (juniperus procera) وهو نوع من العرعر ذو جذوع ضخمة ولا يقلّ ارتفاعهُ عن ٥٠ متراً . وكذلك شجر العرعر والصنوبر المعروف تراهُ يألّف غابات كثيفة على سفح الجبال يستعمل الاهلون خشبها للبناء والوقود . وقصب البامبو يحدّ مجاري المياه في كثير من الجهات

ذهبوا الى الحدود الفاصلة بين هذا القسم والقسم الاعلى وشاهدوا المنحدرات مغطّاة بنوع من الشجر يقال لهُ دجيبارا (rhynchopetalum montanum) وهو يشبه النخيل الّا ان جذعهُ قصير واوراقهُ طويلة على هيئة السيف ولكنّهُ شجر غريب في نوعهِ فانهُ يبقى على هذه الحالة حتى يشيخ وعندئذٍ يطول جذعهُ الى اربعة او خمسة امتار وتظهر لهُ زهرة كزهر الزنبق وهي العلامة التي تشير الى دنوّ أجلهِ

ترلوا الى الجهات المتوسطة الارتفاع كقاطعة الشوا وشاهدوا من شجر الزيتون غابات برمتها ترتفع الشجرة منها الى علوّ شجر الدلب لكنها كلها برّيّة لا تعطي ثمراً او بالحري انّ ثمرها صغير جداً لا ينضج ولكن من يحصي مقدار غلّاتها لو اعتنى بها الزرّاع المتنوّر واصلحها بالتطعيم . وكذلك قل عن شجر النخيل البرّي الذي لا ينتفع منهُ الاهلون بثمرة اما لشجار البنّ والليمون فوجودها في المرتفعات من هذه الارض وفي المنخفضات منها كثير على السواء وخصوصاً في بلاد الكافا التي منها اخذت القهوة (١ اسمها العربي والاعجمي وفي بلاد اتيوبيا وما جاورها حيث رأوا البن مزدرعات برمتها يغيب آخرها عن حدّ

---

١) والعرب يزعمون انّ القهوة لفظة عربية وُضعت اصلاً للدلالة على الخمرة ثم خصّوها بشراب البنّ (المشرق)

البصر ولا يعلم بعددها الّا الله وقد بدأ اليوم الاحباش ان يستثمروها بعد ان بقيت لجيالًا لا يُجنى لها ثمر

مكثروا في المقاطعة المورية حيث يعتني الاوربيون وبعض الاهلين بزراعة اشجار بعض الفواكه الاوربيَّة والقطن وجميع البقول والقطاني والحبوب . شاهدوا احراج هذه المقاطعة حيث يعرّش الورد البرّي والياسمين الابيض والاصفر على الاشجار وتحوم حول ظهوره مئات الالوف من النحل ثم تعود الى خلاياها الطبيعيَّة المعلقة على الاغصان او الخبأة في الارض بين الاصول فتملأها عسلًا ذكي العرف . رأوا في وسط هذه الغابات كثيرًا من شجر الاكاسيا والصبير والتُّوع الشمعدانيّ (euphorbia candelabra) الذي يدعوهُ الاحباش كريكوال . هذه الشجرة اغصانها مربَّعة الزوايا وطولها نحو عشرة امتار صفراء الزهر لا ورق عليها (ورقها صغير جدًّا يشبهُ في هيئتهِ ورق الصَّبر وهو مثلهُ يسقط حال خروجهِ في اوائل الربيع فلا يكاد يُرى لهُ اثر على الجذوع) تشبه شمعدانًا عظيمًا لذلك دُعيت بهذا الاسم يقطر منها اذا شُدِخت سائل ابيض وهو سم زعاف . وشجر الواتري (cordia abyssinica) الذي يزرعهُ القرويون حول مضاربهم . والميسوزا الكبيرة الخضراء . ونبات الاندود الذي يستعملهُ الاحباش بدل الصابون لغسل ثيابهم والكيشو (rhamnus pauciflora) الذي تكلمنا عنهُ مطوّلًا في المشرق الاغرّ (١ وهو نبات خيري ونوعًا من التين البرّي يقال لهُ (ficus daro) وهو يعمل اصولًا هوائية تنزل من الجذوع الى الارض ثم ينبت منها لشجار أُخر حتى تصير الغابة متلاصقة وتصبح مريض الوحوش والافاعي . ونبات التبغ الكثير الانواع

نظروا في هذه المقاطعة شجرة الكوبا وهي من فصيلة الموز يقال لها (musa insepe) وهي شجرة جميلة كثيرة الورق يدعوها بعضهم شجرة الجوع او شجرة الفقراء وهي كثيرة المنافع للاهلين . قال الاب لوبو المرسل اليسوعي عن استعمالها عند الكالّا ما تعريبهُ : ينسّفون ورق الكوبا ويصلون منهُ ثيابًا فيكفي ورقتان منها لثوب الرجل وكذلك يفرشون بورقها البيوت بدل السجّاد والحصير ويصنعون منهُ اغطية ومناشف ويصطنعون منهُ الحبال واللفائف امّا الاضلاع فتُنشَّف ثم تُطحن ويُعمل منها دقيق

---

١) راجع المشرق ١٥ آب سنة ١٩٠٤

يؤكل مطبوخاً باللبن والجذع يقطع قُددًا ويؤكل مشويًا على النار او مقليًا بالسمن او مطبوخاً مع اللحم . ويعتقد هؤلاء الناس ان في هذه الشجرة شيئاً من الحسّ او من الحياة الحيوانيّة ويظنّون انها تتنفّس الصعداء او تتنهّد عند ما يكسرونها لذلك هم يقولون عند ما يقطعونها انهم يذبحون شجرة الكوبا

*

ارض بلاد القسم الاوسط من الحبشة تعطي الزرّاع محصولين في السنة غلّة اولى في حزيران وثانية في تشرين الأول وربّما استطاعت ان تتحمّل موسمًا ثالثاً بشرط ان تسمّد . حتى ان الكرمة نفسها وبقيّة الاشجار المثمرة التي اعتنى الاوربيّون بزراعتها تعطي ثمرها مرّتين في السنة وذلك ناتج عن غزارة المياه وكثرة الامطار وعدم وجود البرد القارس الذي يوقف في النبات دورتهُ الحيويّة . وزد على ذلك ان العواصف القويّة والبروق الكثيرة والرعود الشديدة والصواعق المتعدّدة تُكسب الارض كهربائيّة عظيمة فتولّد فيها فضلًا عن قوّة التنبيت كثيرًا من الموادّ والاملاح المغذية للنبات وتجعل تربتها غزيرة الخصب

امّا الغلّات التي يزرعها الاهلون في تلك الارضين فهي القطن والقمح والشعير والجودار والذرّة الصفراء والباقلّاء واللوبياء والفاصولية والذرة البيضاء (sorgho) والكتّان والبطاطا والبطاطس (topinambour: coleus tuberosus) والحمّص والفول والعدس والبصل والثوم والحنطة ونبات يقال له الطيف (poa utilis) يعمل منهُ الاغنياء خبزهم ونوعاً من اللفطين الضخم يستعملونهُ بدل اوعية الفخّار او كجرار الماء وملفوف يقال له سلفوف تمر لا يلتفّ ورقهُ على بعضهِ وتكبر ساقهُ الى نحو متر ونصف . وفي مقاطعة هـ . يزرعون ايضاً البنّ وهو مشهور بجودتهِ كبنّ اليمن والكات (celastrus edulis) وهو شجرٌ يشبه بورقهِ الغار البرتقالي يمضغ ورقهُ العرب والهرريّون فتفعل بهم فعل المسكر والپاپاي (carica papaya) ذات الثمر اللذيذ واللوز وقليل من الكرمة والرمّان والتين . اما بساتين الاوربيين فانها ممتلئة من كل انواع الفواكه والبقول والزهور

لكنّ الوطني يفضّل اللبن والعسل على كل انواع المأكولات نباتيّة كانت او حيوانيّة لذلك ترى ما عدا الخلايا الطبيعيّة التي يصنعها النحل لنفسهِ في الارض بين اصول

الاشجار كثيرًا من الخلايا الاصطناعيَّة التي يعلقها الناس على الاشجار العالية على مقربة من قراهم وذلك لتكون في مأمن من شرّ النمل الذي يلتهم منها العسل بسرعة عجيبة وخصوصاً من شرّ حيوان يُدعى عناق الارض كثير الولع باكل العسل اذا ما احسَّ بوجود الخلية رمى بها الويل . وهذا العسل انواع في الحبشة فمنهُ الابيض ومنهُ الاصفر ومنهُ الاحمر ومنهُ الاسود . ومنهُ الحلو كالسكَّر ومنهُ ذو الرائحة العطريَّة ومنهُ مرّ الطعم ومنهُ السامّ وذلك على حسب انواع الازهار التي تمتصُّ منها النحل جناها . اما ما ينفق من العسل سنويًا في الحبشة فكميَّتهُ اكثر من ان تقدَّر لانَّ التجَّار يصدّرون من شمعهِ نحو عشرة آلاف طنّ ما عدا ما يُستعمل في ارضهِ فاعتبر

*

سبق لنا القول انَّ مياه هذا القسم غزيرة فمنها الانهر العظيمة ذات الاحواض الفسيحة كنهري اوَّاش واكاكي ومنها الانهار الصغيرة والجداول والسواقي وعددها اكثر من ان يُحصى اكثرها يجري بلا فائدة ثم ينصبّ في الوادي او ينضب في السهل . ومنها البرك والبحيرات كبركة هراماياً وبركة أدلي على مقربة من مدينة هرر وبركة التشرشر على مقربة من اديس ابابا وبحيرات تانا وعباي ورودلف وسامبورو فوق بلاد الاحرا وغيرها كثير . وكل هذه المياه جاريةٌ كانت او راكدة هي ممتلئة من انواع الاسماك فالاحباش اذا ما راموا صيد السمك ألقوا في الماء شيئاً من دقيق بزر شجرة يسمونها بربيرا يخدّر الاسماك ويدوّخها فتطفو على وجه الماء وتبقى على هذه الحالة نحو ساعتين ثم تفيق من دوختها وتعود الى السباحة . وفي اثناء ذلك يلتقط الصيَّاد منها ما استطاع وهي في حالة الدوخة الى ان تفيق

اما المياه المعدنيَّة الحارَّة فهي كثيرة ايضاً في هذه النواحي وهي تنبع خاصَّةً في سفح الجبال حيث تبتدئ السهول او في الغلولات الداخليَّة . واشهر هذه المياه هو نبع بيلن وموقعهُ في حوض الاوَّاش من جهة الجنوب هناك ترى الجمال والبقر تترك مياه سواعد نهر الاوَّاش العذبة وتشرب من هذا الماء مع ان طعمهُ معدني ودرجة حرارتهِ ٤١° ثم ثلاثة ينابيع متقاربة في قنفيني على نحو ميل من اديس ابابا يخرج ماؤها من بين الصخور حارًّا بدرجة ١٠٠° وهذه هي التي نال بها الخواجا سركيس ترزيان التاجر الارمني امتيازًا ليجعلها حمَّامات يستحمّ بها القاطنون تلك العاصمة من اوربيين واحباش

لما على مقربة من بلاد انكاڤا فانهُ يوجد ايضاً ينبوع ماء يخرج بدرجة الغليان من شق الصخرة وتدفعهُ قوَّتهُ الى نحو خمسة امتار في الهواء ثم يسقط على الارض ويسيل نهراً صغيراً يرتفع منهُ البخار كالضباب على طول مجراه. وقد مرَّ عليهِ بعض المرسلين والرحَّالين فكانوا يمكثون مدَّةً بالقرب من هذا الينبوع ليدرسوا طبيعة مائهِ وخواصهِ وكانوا عند ما يريدون الطبخ يلقون اللحم نيئاً في هذا الماء المحرق ثم ينتشلونهُ بعد خمس دقائق مسلوقاً ومملحاً فياكلونهُ . اما تركيب معدنيَّة هذا الماء فانهُ يحتوي كثيراً من الحامض الفحميّ (acide carbonique) والملح (chlorure de sodium) وثاني فحميَّات (bi-carbonate) البوتاسا والصودا وشيئاً من املاح الحديد ومن خواصهِ انهُ مسهل وطارد لدود البطن ونافع للامراض العصبيَّة وامراض المعدة والحميات وفقر الدم ونحو ذلك وقد عرف منافعهُ السيد القاطنو تلك الجهات فيقصدونهُ من بعيد ومن زمن مديد طلباً للاستشفاء من علتهم وهم يستعملونهُ شرباً واستحماماً

وفيا خلا هذه الينابيع المشهورة يوجد ايضاً غيرها في جهات بلاد گوجب وگيرا التابعة للقسم الاوسط ايضاً اضربنا عنها صفحاً لقلَّة شهرتها لكنها لا تنقص عن التي ذكرناها في خواصها ومنافعها

امثال العوامّ في الشهور وفصول العام

للشيخ الاديب انطون افندي جميّل

لقد اصبحت اللغة العاميَّة موضوعَ ابحاثٍ عامَّة ونالت حظوةً لدى العلماء والمستشرقين فكتبوا عنها الفصول الطويلة في الجرائد والمجلَّات ينقبون عن اصل مفرداتها ومشتقَّاتها ويستقرون معانيها اللطيفة مع سذاجتها ومبانيها الرائقة مع بساطتها مقابلين بينها وبين اللغة الفصحى . واقدم بعض افاضل الكتبة على نشر كتبٍ وروايات صادفت رواجاً في عالم الكتابة واقبل عليها القرَّاء كل الاقبال

وقد فقهت ادارة كليَّة القديس يوسف ما لهذه اللهجات من الاهميَّة والمكانة لدى العلماء فافرزت لها في المكتب الشرقي اللاحق بالكليَّة المذكورة قسماً لتدريس قواعدها والتعمُّق في فوائدها